

فلسفة الحركات في اللغة العربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال

مدير معهد الدراسات والبحوث للتعريب

— الرباط —

ويلعموه وحفاهه ولسانه وشقيته فيخرج الكلام بكل
انواع اصواته الشديدة منها والمتوسطة والخفيفة
والثقيلة والطويلة والقصيرة الى غير ذلك من غرائب
خلق الله وعجائبه سبحانه تعالى عز وجل .

الاصوات اللغوية :

واذ لا حركة ولا سكون الا باذن الله فان
الاصوات التي يخرجها الانسان من جهازه لا يخرجها
بدون سبب كما ان لكل ما يصدر عن الانسان ولكل ما
يحصل له اسبابا منها المجهول ومنها المعلوم ، بله :
كل ما يقع ويحدث في هذا العالم بمعناه العام له
اسباب ، ولهذه الاسباب اسباب اخرى لها اسبابها
التي تنشأ عن أسباب ، منها المجهول ومنها المعلوم
الى غير ذلك من اسرار الطبيعة التي لا نعرف عنها الا
القليل . وعلم الاصاتيات بخبرنا بالحركات التي تؤدي
بالجهاز الاصاني الى اخراج الصوائت (فونيمات)
التي تشكل الحروف ويجعلنا نقف عند حدود الفوارق
ومؤثراتها .

ففيما يخص صويته الباء بالنسبة الى صويته
الهاء مثلا نعلم جميع ما يحدث اثناء التلغظ بهاتين
الصويتين . فان صويته الباء يتطلب اخراجها
مجهودا اكبر من المجهود الذي يقتضيه اخراج
صويته الهاء ، لانه يفرض العمليات الآتية :

يحدث نشاط كيميائي وكهربائي تفاعلي داخل
المستبكات (والمستبكات هي الامكنة التي تشتبك

1 - القسم الاول :

من المعلوم ان اللسان هو العضلة الاساسية
التي نستعملها داخل الفم لاجراء الاصوات اللغوية
بمشاركة اعضاء اخرى خصتها طبيعة التركيب البدني
بالمساهمة في انتاج الكلام على اساس تبثق نفساني
بديع يتصرف في عمليات بدنية متسلسلة خلاصتها ان
موجات صوتية متتالية منشؤها ذبذبات فيزيائية .
تنتشر في الهواء وتدخل في الاذن فتتحول عندما تصدم
العصب السمعي الى سيالة (اي كهرباء بدنية)
تتسرب الى ملايير الخلايا الدماغية لتثير صورة سمعية
تنشأ عنها صورة بصرية . ويجب ان تكون الصورتان
متطابقتين تطابقا تاما والا حصل سوء الفهم . ويحدث
في الدماغ اثناء التفكير وقبل الرد بالجواب بموجات
اخرى ما يحدث فتنتقل من فم المجيب ذبذبات اخرى
تنشئ موجات بدورها تطير في الهواء وتصدم اذن
المستمع وتلتقي بعصبه السمعي فتتحول الى سيالة
اخرى وتصل الى وحداته العصبية لتثير صورته
السمعية يجب ان تكون صورتها البصرية مطابقة لها
مطابقة تامة والا حصل سوء الفهم من جديد . ويحدث
في دماغه ما يحدث من التفاعلات الكيميائية والفيزيائية
والاحيائية (اي البيولوجية) والنفسانية والروحانية
والعقلية وغيرها ولا يدوم هذا كله الا مدة رمشة العين
قبل ان ينبث الامر بالاجابة فتتسرب بالسيالة من
جديد من المراكز والمناطق الخاصة بالكلام والسمع
والبصر لتحرك بواسطة اعصابها العضلات المتحركة في
اجهزة الكلام كالحنجرة واوتارها وغضاريفها وكالفم

المفروح وحاملا صوت الباء الجهيرة عبر الهواء الطلق
في شكل موجات صوتية .

هذه العمليات كلها بتناسقها العجيب وأنواع
حركاتها الدماغية والعصبية والعظمية الدقيقة هي
التي تتطلبها الباء ونحن غير شاعرين .

أما الهاء فلا شيء من ذلك فيها إلا خروج الهواء
انحامل ذبذبات التوترين الصوتيين بينما تكاد أعضاء
الفم تكون في حالة استراحة وارتخاء .

وما يحدث للباء خفيف بالنسبة إلى القاف والكاف
والراء والحاء والشين والصاد وثقيل بالنسبة إلى
الحاء والعين والغين والفاء والهنزة الخ ...

وإذا اشتد خروج الأصوات الثقيلة فذلك لسبب .
وإذا خف فذلك لسبب أيضا أرادته العقل ليعبر عن
الشدّة مع الأصوات الشديدة وعلى اللبونة مع الأصوات
الليونة ومثال ذلك : هف وقض ، فهفت الريح : هبت
فسمع صوت هبوبها ، وهب الريح : خف وعصب
الرجل : أسرع في سيره وأهف الخفيف من الناس ،
وكل شيء خفيف لا شيء في جوفه والسبك الصغار ،
وسحاب هف : رقيق لا ماء فيه . بينما نرى في قض
ما يلي : قض عليهم الخيل أرسلها ونشرها وقض
الحائظ هدمه هدمًا عنيفًا وقض الوند : قلعه وقض
الشيء دقه وقض السير أو الوتر ، سمع له صوت
كأنه قطع إلى غير ذلك من المعاني . فكلما خفت في
خف اشتدت في قض .

وهناك فكرة أخرى وهي فكرة الاستعانة ،
استعانة الصوت بالنسبة للمدلول . فإن كان صوت
الهاء لا يتطلب نفس الجهد الذي تتطلبه القاف والراء
مثلا فإن أصوات الحروف وانغامها ورنينها وأجرامها
موضوع استحسان أو استخسان من طرف الإنسان
(انظروا هنا إلى الفرق بين مادة حسن ومادة خشن ،
فالحاء لطيفة والحاء ثقيلة) فلكل لطيف واثيق وجميل
وحلو ومطرب ومفرج ومسمد أصوات لطيفة لينسة
وموسيقية ، ولكل خشن وثقيل وخبيث وبشع ومقلق
ومحزن الخ .. أصوات تناسب تلك الصفات بمعاني
أصواتها .

وهذه الأفكار انتبه إليها فقهاء اللغة القدماء
فخصصوا لها أبوابا مشهورة عنوانوها بمطابقة اللفظ
للمعنى ، ومن أشهرهم في هذا ابن جني ، كما ألفوا
فيها كتباً أشهرها قاموس مفاتيح اللغة لأحمد ابن
فارس ، إلا أن علماءنا المحدثين ممن تتلمذوا على

فيها الاستطلاات الشعرية الخاصة بالوحدات العصبية
التي تنساب معها السيلة العصبية ، وهذه المشتبكات
تشبه مرآة كهربائية (أي بطاريات) فيها عدة خلايا
في كل واحدة منها مادة كيميائية أساسها الكالسيوم
والبوتاسيوم والصوديوم وأنواع مختلفة من العناصر
النادرة كالحديد والمنغنيز والبور والماغنيزيوم
والكوبالت الخ ... والكلى منمات (ذائب) في سائل
خاص يسمى الخليل المراري (الاستيلكوليسن)
والتفاعل الكيميائي الذي يحدث في هذه المشتبكات
يخلق الكهرباء الخاصة بالبدن وهي السيلة . وهذه
السيلة مهمتها حمل الإهجات (أي الطلقات العصبية)
إلى الوحدات العصبية الأخرى أو إلى أجهزة التنفيذ
المحيطة كالعضلات مثلا . وفيما يخص نقطة موضوعنا
بالضبط تتسرب طلقات سيالية نحو عضلات الحجاب
الحاجز لترتفع الاضلاع فتنتفخ الرئتان اذاك ويحدث
امتصاص للهواء الخارجي الذي يتسرب اليهما من
منفذ الانف أو الفم أو منهما معا - بعد أن حصلت في
مشتبكات أخرى من الدماغ عمليات أخرى لأمر عضلات
الفم بفتحها - فينساب الهواء مع الرغامي (أي القصبة
الرئوية) إلى القصبتين اللتين تشعبان في الرئتين ،
وذلك بعد حدوث إهجات أخرى في الدماغ أمرت
عضلات الحنجرة بإبعاد التوترين الصوتيين الواحد عن
الأخر لينفخ المجال أمام الهواء الجاري نحو الرئتين -
ثم بعد ذلك تنطبق الشفتان الأحدى على الأخرى عندما
تضغط الرئتان الهواء ليفر منهما متسربا مع الرغامي
فيجد الأوتار الصوتية قد تباعدت لتسمح له بالمرور
فيصل إلى البلعوم وعند ذلك أو قبل ذلك بقليل يرتفع
الحفاف بلهاته وينطبق على منفذ الانف ليسده مانعا
الهواء من التسرب منه حتى لا تحصل الفنة في صوت
الباء ثم يصل هذا الهواء إلى الفم ويريد النفوذ من بين
الشففتين فيجدهما منطبقتين كما أسلفنا فيصدمهما
ويحاول تفريجهما فتزداد حركة عضلات الشفتين تقلعا
ويزداد انضمام الشفتين شدة لمنع الهواء من الخروج
ويشتد ضغط الهواء على الشفتين وعلى الشدقين
وعلى الحفاف وكل هذه الأعضاء تقاوم ذلك الضغط
بالتقبض والتقلص ، وإذا بالتوترين الصوتيين يقتربان
ويشرعان في التدبذب لإنشاء ما يسمى باللحن
الحنجري الذي سيجمل من حرف الباء حرفا مجهورا
لا مهموسا فتحصل اذاك عملية الترنن وهي فزيائية
محضة ، وفجأة تباعد الشفتان الأحدى عن الأخرى
وينفث الهواء المضغوط بعنف وشدة خارجا من الفم

العلماء الاوربيين اقلعوا عن هذه الابحاث النفيسة لانهم عملوا بنظريات العلماء الغربيين الذين فشلوا في بحث هذا الموضوع ولا غرابة ، لانهم لهم يحافظوا على لغتهم الاصلية فاصبحت لغاتهم خليط لهجات لا تطابق طبيعتها عبقريتهم ، اذ لكل شعب خصائصه اللغوية لا سيما في موضوع الاستغاثة ، فهذا الشعب الالمانى مثلا يستحسن صوتية الخاء وصوتية الراء الرنانة ، بينما الشعب الفرنسى يستحبها . وهذا الشعب الانكليزي ينفر من « تغنين » الانكليزية ، بينما الشعب الامريكى يستحسنها - وبينما لا نرى شعبا اوروبيا يجيد صوتية الأو (u) اذا بالشعب الفرنسى يكثر منها - وتغلب صوتية الشين فى البرتغالية ، كما تغلب عملية التفعير البلعومي فى اللغة الروسية ، وما أحنى صوائت الحاء والهاء فى اذننا ، وما أقبحها فى اذن غيرنا الخ . . من الاعتبارات التي يرجع سببها الى اختلاف الذوق .

لهذا كله لا تصح هذه النظريات الا فى موضوع لغة أصلية بالنسبة الى شعبها الاصيل ، ومعنى هذا انها لا تنطبق على الالفاظ الدخيلة والاجنبية مع مراعاة التفاوت داخل شعب واحد ، ومن قبيلة الى قبيلة ، ومن بطن الى بطن ، ومن حي الى حي ، وحتى من عائلة الى عائلة ، ومن أسرة الى أسرة .

ولا ننتظر الوصول الى نظرية شاملة قائمة على أسس متينة فى مدة قصيرة لان فى هذا المطلب من التداخل بين الاصوات باعتبار الحقيقة والمجاز وباعتبار الاقدمية والاحديثية وتغير الصوائت عبر التاريخ بالنسبة الى اللهجات العربية من جهة وبالنسبة الى تغير الدلالات من جهة اخرى مما هو فى الحاجة الى تضافر الجهود وتبادل الخبرات وتوفير أجهزة المد والاحصاء والترتيب والتصنيف الشيء الذي ينقصنا اليوم . وقد يتبادر الى الذهن ان هذا العلم فى متناول أي شخص اذا ما اعتمد على الملاحظة والمقارنة بوسائله الخاصة . كلا ! وحذار ثم حذار ! لان اجدادنا اللغويين وهم المعروفون بالدقة والاجتهاد وسعة الباع ان اجادوا فى بعض هذا العلم فان وسائل نقصتهم فتوهموا فى بعضه الآخر .

واذا كانت الحروف تتكون من الصوائت فان الكلمات تتكون من الحروف . واذا كان لكل حرف معنى فان مجموع معاني الحروف يؤدي الى معنى الكلمة ومجموع معاني الكلمات يؤدي الى معنى الجملة ، وهنا قال علماءنا بمطابقة التراكيب للمعاني كذلك وقالوا ان

الزيادة فى المبنى زيادة فى المعنى . بدون اعتبار دوران الحركات فى الاوزان . فبحر جمعه بحور وبحار وابحرة واباحير وابحار ، والبحر قليل التركيب لانه يدل على المفرد وجموعه أطول منه لانه يدل على الكثرة . ولكن تحديد المعاني بالتراكيب اختلف فيه كما اختلف فى ما سبق لعدم توفر مواد البحث فى ما وصل اليه العلم الحديث . الا انهم تركوا هذا الموضوع لتعقده واشكاله فلم يعيروا الحركات الاهمية التي تستحقها وغلبت عليهم نظرية السماع والقياس التي كانت سائدة فى العلوم اللغوية آنذاك مما ادى الى ما يسمى اصطلاحا بالعامل المؤثر باعتبار متن اللغة او فى ما هو ضمني باعتبار الاعراب . كل ذلك لغاية واحدة هي المحافظة على التراث اللغوي وعلى القرآن ورفع اللحن الذي كان قد انتشر بصورة مهولة . اصف الى ذلك انه كلما ثبت عند بعضهم القياس الا واضعفته شواهد سماعية شاذة مما ادى الى بليلة الافكار واللجوء الى السماع مع الإبقاء على فكرة القياس رمزيسا لان احدا من القائلين بالقياس لم يجرؤ على تغيير ما أصبح شائعا من اللغة واحلال القياس محل السماع . فبقدر ما درسوا معاني الحروف وتوفقوا فى بعض نواحيها بقدر ما فشلوا فى معاني الحركات ولم يصلوا الى نتيجة علمية تجعلهم يشيدونها بمشابة قاعدة . فكلهم قالوا عن الفتحة انها اخف الحركات العربية لذلك كثرت فى اللغة وقالوا عن الضمة انها أثقل من الفتحة وقالوا عن الكسرة انها اقلهما . اذن بنوا حكمهم فيما يرجع الى الحركات على اساس سمعي لا جسماني كما فعلوا ذلك فيما يخص الحروف . وهذا الاساس السمعي هو الذي سنحاول الكشف عنه :

فجاء ابراهيم مصطفى فى عصرنا الحديث والف كتابه المشهور « احياء النحو » الذي كان له اكبر صدى فى هذا الميدان فعمل الفتحة بانها اخف الحركات وانها تدل على شيء وعطل الضمة بانها علم الاسناد ودليل على ان الكلمة المرفوعة يراد بها الاسناد اليها والمحادثة عنها . اما الكسرة فانها علم الاضافة ، واشار الى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط باداة او بغير اداة ، وقال ابراهيم انيس بعدم معاني الحركات فى الاعراب (انظر اسرار العربية) وقال المخزومي : ليست الفتحة علما لشيء خاص ولكنها علم كون الكلمة خارجة عن نطاق الاسناد (الذي هو للضمة) او الاضافة (الذي هو للكسرة) وان الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع اليها العربي ما وجد الى الخفة سبيلا ، وهو رأي الخليل وسيبويه ، واما ابراهيم

السامرائي فانه يقول في الفتحة انها وجدت في كثير من اللغات السامية الا انه سرد اقوال « مارسيل كوهن » و « يوهان فوك » اللذين يثبتان بأن اللغات السامية كان لها اعراب ، ولم اعثر على نظر له في هذا الموضوع . اما اثبات الاعراب فانه جاء في معظم كتب اللغة من صاحبي والمزهر الى كتب فقه اللغة الحديثة .

ومن الذين عالجوا هذا الموضوع عبد الله العلايلي الذي قال : « باب ضرب يضرب » يخضع له التلبس بحركة الفعل في الزمن الحاضر ، بينما الخمسة الاخرى فلافادة معنى زائد . . . فاذا اردت الدلالة على التفوقية او التركب فسوق الدلالة على التلبس بالحال الفعلية تنقل الفعل الى باب نصر ينصر ولذا طرده اللغويون في المفارقة والمبالغة (فامرته فقمته فانما اقمه) واذا اردت الدلالة على التقلب والانسراج تنقل الفعل الى فتح يفتح ولا تلق بالا الى ما اشترطه اللغويون من ان هذا الباب خاص بما كان عينه اولامه حرف حلق فهو تقدير واهن . . . واذا اردت الدلالة على التغير خلوا وامتلأ وجودا او عدما تنقل الفعل الى علم يعلم . . . واذا اردت الدلالة على الرسوخ والطبع تنقل الفعل الى حسن يحسن واذا اردت الدلالة على التجزؤ (والتقسم تنقل الفعل الى باب ورث يرث) انظر المعجم للعلايلي .

وهذه الاقوال كلها اما تكرير لما قاله القدماء واما استنباط منها ، اذ قالوا اجمالا ان « فعل » يفتح العين لمعان كثيرة لا تنضبط ، منها القلب : قامرني فقمته اقمه اي اقلبه في القمر ، ومنها ان افعال الحدوث تندرج تحت عنوانه - بينما فعل يشمل افعال الفرائز والطبائع فيدل على لزوم مداولاتها لان ما يقتضيه الطبع يدوم بدوامه وتكثر فيه العلل والاحزان واضدادها . . . وتجيء في غير فعل الا انها فيه اكثر منها في غيره ، وفعل للطبائع وهي الافعال اللازمة الصادرة عن الطبيعة وهي القوة الموجودة في الشيء التي لا شعور لها بما يصدر عنها ، وخص الضم بها لانضمام الطبيعة الى الذات عند صدور هذه الافعال منها كانضمام الشفتين عند خروج الضم منها .

وفي الحرف الاول من الفعل قالوا : لما كانت العرب لا تبتديء بساكن فلا تكون ساكنة فاؤه ساكنة ولا تكون مكسورة - الا للضرورة وذلك عندما يكون الفعل اجوف وبني للمجهول او من باب فعل وهو اجوف كذلك وتضم كذلك في الاجوف من باب فعل لا غير - اذن لا تكون مكسورة لقوة الكسرة وهو قليل

لانه يتغير وليس بتأنيث كالاسماء . ولا تضم الا اذا بني للمفعول . فيبقى الفتح في فاء كل فعل ماض - اما الحرف الاخير فهو مبني على الفتح الا اذا طرا عليه ما يضمه او يسكنه . وحرف الوسط فقد ذكرنا ما جاء عندهم فيه .

ونستنتج مما سبق انه ليس هناك قاعدة عامة يطمئن الفكر اليها ويركن وان السماع هو الاساس بيد انه اذا تتبعنا اجزاء معالجة معاني الحروف ، معاني الحركات قد نهتدي الى شيء مضبوط ناتج عن الاحضاء من جهة وعن اعتبار قانون الجهد والكسل المهيمن على كل ما هو من قبيل تصرف الانسان في عميق حياته . اذ منذ ان ظهر الانسان على البسيطة الا وحاول وما يزال يحاول ان يوفر لنفسه اسباب الحياة بأقل جهد ممكن مما ادى به الى هذه الاختراعات العجيبة التي يريد تسخيرها لخدمته ليعيش سعيدا والسعادة لديه معناها الحصول على كل ما من شأنه ان يلبي رغائبه وحاجاته وآماله بلا تعب ولا مشقة . اضاف الى ذلك ان له نشاطا عقليا جعله يتصور العالم بصورة مختلفة باختلاف الاغراض والهوايا والاماني والخيال والشعور وبما يؤثر به على الطبيعة وعلى غيره من البشر وبما يتأثر به من الطبيعة ومن المجتمع . ومن الاسباب التي دفعتنا الى تركيز البحث على معاني الحركات التناقض الظاهر في مدلولاتها .

فهذه لغة - العربية تبدو لك في كتابتها مبنية على اساس حروف صامتة وهذه الحروف لا تصوت الا مع علامات خاصة توضع فوقها او تحتها وهذه العلامات لا تنطق وحدها لانه لا يوجد في العربية معنى يفاد بصوت حركي مفرد كما هو الشأن في اللغات الاوروبية حيث « او » (ou) مثلا تفيد مدلول المكان ، او التخير يعني انه لا يوجد لفظ مكون من حركة واحدة والكلام كله صوائب (جمع صوتية = فونيم) مركبة من حروف مع حركاتها لا من حروف وحدها ولا من حركات وحدها فالكلام عند العربي من كلم اي جرح وشق بمعنى فتح - الصمت) فهو مكاشفة ومباشرة من الكشف اي رفع الستار عن المختبئ ومن البشر اي الشق والفتح - والعربي يعتبر ان الانسان في سكوت وسكون وهذوع بالنسبة الى العالم الذي يعيش فيه وبالنسبة اليه اي الى وضعه فيه ، فهو يكلم هذا العالم الغريب عند التعبير كما يفطر ذلك الصمت الذي هو الصيام ، لذا سمي افطارا من فطر اي شق وقطع ، الله فاطر السماوات والارض اي خالقها من فعل خلق اي شق : خلق وخرف وخرج وحرك الخ . والحركة

الفم من العض والقطع للمأكولات وهذه العملية عملية
 افعال الفم - هي أساس حياة الرجل لتلبية حاجته
 الاساسية ليعيش اما ابعاد الفك السفلي عن الفك
 العلوي فتقوم به ثلاث عضلات كذلك الا انها ضعيفة ،
 وهي ذات البطنين Digastrique والظرسية
 الامية Mylohyoïdien والدقنية الامية
 Géniohyoïdien فعملية الافعال اذن بفضل
 عضلاتها القوية اسهل وأيسر من عملية الفتح الضعيفة
 العضلات فاخراج الفتحة اصعب من اخراج الضمة
 التي تقتضي فتحاً اقل من الذي للفتحة وهي اصعب
 بدورها من الكسرة التي تقتضي انفتاحاً قليلاً للفم حتى
 ان صوته الكسر قد تخرج ويكاد الكفان يكونان -
 منطبقين الواحد على الآخر وفي الحقيقة اذا قال
 القدماء بخفة الفتحة وثقل الضمة والكسرة باعتمادهم
 على ظاهرة الجمال الصوتي فذلك له اساس في اعماق
 الانسان الا وهو الكلام المفتوح يروق لما يوحى به من
 حركة ونشاط وحيوية وارادة بالنسبة الى الكلام
 المكسور الذي يشير الى الانهزام والخضوع والرهوخ
 وبالنسبة الى الضم الذي يدل على التراكم والتفاقم
 والسكون والركود .

واذا تمهلنا في هذه النظرية وتاملناها تأملاً
 متدا عميقاً في حد ذاته ثم بالنسبة الى اصول اللغة
 لا الى فروعها وأخطائها وشائعها ، وتبصرنا امورها
 الباطنية اعتماداً على فلسفة الحركات بالنسبة الى
 البدن البشري وطبقناها تطبيقاً محكماً ، امكننا اذاك
 ان نشيد نحواً جديداً منطقياً يكشف لنا الستار عن
 النحو القديم الاصيل الذي بنى عليه العرب القدماء
 لغتهم فأصبحت مطابقة لاغراض عقلم وشعورهم
 واحاسيسهم اي بكلمة واحدة مطابقة للحياة ، اذا فعلنا
 هذا ستصبح اذاك العربية اسهل اللغات بالنسبة الى
 العقل اي بالنسبة الى ما يريد العقل التعبير عنه
 فيمكن حينئذ ان نسترجع ملكة اللغة العربية التي
 ضاعت وبضياعها انزوت في السماع اي في الحفظ
 بخطئها وصحیحها بدون معيار للتمييز بين الصالح
 والفاقد وبين التطور الدائر المتكرر والتقدم القاصد
 الهادف الى الكمال .

الامثلة :

خذوا مثلاً مادة « دخن » التي جاءت منها الابنية
 الثلاثة : دخن ودخن ودخن ، فانكم تجدون ما يلي :

اما يقوم بها الانسان واما تحصل له من غيره من البشر
 الذي يعيش معه او من العالم الذي هو فيه بالنسبة
 الى عناصره من ريح ورعد ومطر ونار الخ ... فهو اما
 مؤثر على العالم واما متأثر به . فالعربي . بهذه
 الفلسفة التي تتجلى في لغته واضحة لانه حافظ نسبياً
 على اوضاعها بينما نراها اندرست في اللغات الاخرى
 يرى العالم في ابعاد ثلاثة كما ان لغته مبنية على ثلاث
 حركات ، حركة الفتح أي التأثير على العالم الخارجي
 وهو عمل صادر عن الارادة ، مثل ضرب وقتل وخرج
 ونطح وقطع واكل وفتح ودخل وصرع الخ .. وكلها
 افعال مفتوحة العين لان الفتحة تدل على العمل الصادر
 عن الفاعل بارادة منه حقيقة او مجازاً - ثم حركة
 الكسر أي التأثير الذي يحصل للفاعل من طرف العالم
 الخارجي ، فالكسر والخسر والقصر والخزل كلها
 بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور . فالفعل
 المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل بدون
 ارادة منه حقيقة او مجازاً مثل مرض وحزن وعطش
 وعلم وفرح وسقم وغرق وعسور وحذب وجزع الخ ..
 ثم الضم (والظم والتم وكلها تدل على التجمع والكثرة
 والدوام والثبات) ك : حسن وخشن وكبر وصفير
 وقرب وعرج وعور ودخن وشرف وكلها بمعنى حصول
 الشيء للفاعل لا حصولاً طارئاً أو مؤقتاً كما هو في
 فعل بل بكثرة ودوام وثبات ونهاية . كل هذا مبني على
 اساس قانون الجهد والكسل الذي اشرنا اليه . فيما
 ان الحروف بشدتها ورخاوتها ، برخومتها وخشونتها
 تصدر عن الانسان للدلالة على الشدة والرخاوة والرخومة
 والخشونة في الاشياء ووصافها فان الحركات كذلك
 يجب ان تعتبر على هذا الاساس الجسماني الا ان فكرة
 الثقل والخفة بالنسبة الى الاذن حسب ما ذهب اليه
 الاقدمون فكرة ناقصة لانها مبنية على ظاهر اللفظ لا على
 باطنه المحرك الذي هو النشاط العصبي الدماغى
 بالنسبة الى تحكم الانسان في كلامه . واذا كان ذلك
 كذلك فلنا ثلاث حركات تقوم بها اعضاء الكلام لاخراج
 ثلاثة انواع من الحركات : الفتحة والضمة والكسرة
 التي تتصرف في جميع اللغة ، فلماذا الفتحة تدل على
 العمل الارادي ؟ لان فكى الفم عند اخراج صوته الفتحة
 يتعدان الواحد عن الآخر . وما الذي يبعدهما ؟ ثلاث
 عضلات : الاولى عضلة قوية جداً عريضة وغلظية تسمى
 الماضفة Masseter وعضلة ثانية تساعد الاولى
 وهي الجناحية Pterigoïdien وعضلة ثالثة
 هي الصدغية Temporal تساعد الثانية
 اذن ثلاث عضلات قوية لرفع الفك الاسفل حتى يتمكن

دخن (بفتح العين) الدخان : اذا سطع وارتفع .
وهنا تشخيص للدخان وكأنه يرتفع بارادة منه .

ودخنت (بفتح العين) النار : ارتفع دخانها
اي اطلقت الدخان فارفع . وهنا تشخيص كذلك
لفعل الفعل اراديا) .

ودخنت (بكسر العين) : القى عليها حطاب
فأفسدت فهاج دخانها (والمعنى واضح ، أي حصل لها
الدخان وأصيب به فأصبح الدخان يحصل لها ويؤثر
عليها) .

ودخن (بكسر العين) الطعام واللحم وغيرهما :
اذا أصابه الدخان في حال شبه أو طبخه حتى تغلب
رائحة الدخان على طعمه (وهنا معنى الحصول واضح) .

ودخن (بكسر العين) الطبخ اذا تدخنت القدر -
وشراب دخن (بكسر العين) : متغير الرائحة (اي
بالمعنى الحقيقي رائحته هي رائحة الدخان وبالمعنى
المجازي : لم تبق رائحته الاصلية فتغيرت واطلق
اللفظ على سبيل العموم) -

ودخن (بفتح العين) الغبار : سطع وارتفع اي
كما يسطع الدخان يسطع الغبار) -

ودخن (بكسر العين) خلقه : ساء وفسد وخبث
(بمعنى حصل لها السوء والفساد والخبث) ودخن
(بضم العين) النبت ودخنت (بضم العين) الدابة
دخنة مثل دخن (بكسر العين) (يستخلص منه الثبات
والدوام على حالة الدخنة اي الكدرة يعني صار نهائيا
في ذلك اللون أو لم يستطع الصبر على كثرة الدخان) .

واذا اخذنا مادة اخرى فيها الابنية الثلاثة مثل
« ش ر ف » ومعناه العلو نرى ما يلي : شرفه (بفتح
العين) : غلبه في الشرف . وشرف (بفتح العين)
الحائط : جعل له شرفه ، وشرفت (بفتح العين)
الناقة : صارت شارفا (اي على سبيل التشخيص

علت وارتفعت في السن) وشرف (بكسر العين)
الرجل : دام على اكل السنام (بمعنى غلبت عليه
شهوة اكل السنام اي الشرف وهو السنام أصلا من
نفس المادة) وشرفت (بكسر العين) الاذن وشرف
(بكسر العين) المنكب : ارتفعا اي شرفا (بكسر الراء)
اي صار مرتفعين - وشرف الرجل (بضم العين)
صار ذا شرف (اي في حالة ارتفاع وعلو تبنت فيه
واصبح يتصف بها) وشرفت (بالضم) الناقة : صارت
شارفا (والفرق بين شرفت الناقة (بالكسر) وشرفت
(بالضم) واضح فالاول ملحوظ الوصف بعد عدمه
والثاني كثرته وتراكمه ودوامه حتى أصبح في أعلى
درجة منه) .

وفي مادة « حزن » حزن (بالكسر) حزنا وله
وعليه : ضد سر أي حصل له الحزن - وحزنه (بالفتح)
ضد سر (لغة تميم وهي عندي أقرب الى الاصل
العربي من لغة الحجاز) ، ولم يرد « حزن » (بالضم)
في الاستعمال تلافيا للطيرة مع أن مصدره حزونة بقي
مستعملا بالمعنى الحقيقي وهو غلاظة الارض وشدتها .

وفي مادة « بشر » بشر وبشر بالثليث وجهه
خرج به بشر : (والمفهوم الضمني المعاقبة بين الثاء
والزاي : « بزر » والمعاقبة بين الثاء والصاد : بصر -
ومراعاة القلب المكاني : ثبر - فباتينا منه معنى القروح
ومعنى الكثرة ومعنى نوع من الارض . واذا وقفنا على
المعنى الاول فمفاده : بشر (بالفتح) وجهه : اخرج بثورا .
وبشر (بالكسر) وجهه حطت له بثور . وبشر (بالضم)
وجهه وهو : أصبح ذا بثور فهناك تدرج واضح في
المعاني بين فعل (بالفتح) وفعل (بالكسر) وفعل
(بالضم) وذلك في الافعال كلها .

وباعتبار هذا كله نصل الى الحقيقة الآتية وهي
أن العربي كان ينطق حسب ما في دماغه من أغراض .
واللغة العربية - داخل حدود نظريات وقواعد ثابتة -
أداة تمتاز بطوعية للتعبير عن جميع ما يختلج الفكر
لا ميل لها في أي لغة من لغات هذا العالم .